مجلة كلية الآداب
"دوريَّةٌ – أكاديميَّةٌ – علميَّةٌ – مُحَكَّمةٌ"
عدد (٣٨) مارس ٢٠١٥م ص ص: ٣٥١ - ٣٦٩
جامعة سوهاج
كلية الآداب

المراقب المثالي عند " رودريك فيرث "

د. مصطفى عبد الرءوف راشد أحمد(*)

المقدمة:

تتعلق نظرية المراقب المثالي بمسألة الأحكام الأخلاقية على الأفعال الإنسانية، بوصفه المشرع الأساسي الذى يصدر عنه كل الأحكام والقرارات الأخلاقية، التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان في تصرفاته وسلوكياته الأخلاقية، وإن جاز التعبير فهو الشخص الذى يضع القواعد والأحكام، التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان في حياته اليومية.

ولقد نشأت نظرية المراقب المثالي على النقيض من النظريات الذاتية التي تزعم أن الحكم الأخلاقي إمَّا أن يحدد بما يشعر به شخص ما أو يعتقد أنه خير، أو ما تشعر به أو تعتقد به جماعة ما على أنه كذلك، ويبدو أن هذا يؤدى إلى تعدد المعايير وتباين في المستويات حول القضايا الأخلاقية، ولذلك فقد نشأت نظرية المراقب المثالي، التي تتميز عن النظريات الذاتية بأن الحكم الأخلاقي لا يقوم على أي أسس عاطفية لفردٍ ما أو جماعة من الناس(١).

هذا، وقد اختلف الفلاسفة فيما بينهم حول طبيعة شخصية المراقب المثالي، فبعضهم جعله شخصية خيالية بحتة، وليس لها أية وجودٍ فعلى على أرض الواقع؛ بل هو من اختراع المخيلة البشرية، وبعضهم جعله شخصية واقعية، ولكنهم أعطوه مجموعة من الخصائص تجعله متعاليًا على كل البشر؛ بل إنه يرتقى إلى مرتبة نصف الإله أو الإله الكامل، وبعضهم الآخر جعل منه شخصية طبيعية عادية مع إعطائه بعض الصفات التي تجعل قدراته وملكاته العقلية متميزة عن الآخرين.

وقد كانت هناك عدة محاولات لتطوير قائمة من الخصائص التي من شأنها أن تتجلى في المراقبين المثاليين، وهم كيانات افتراضية Hypothetical Entities لهم خصائص غير أخلاقية Nonmoral تؤهلهم باعتبارهم أشخاصًا يمكن الاعتماد عليهم (موثوق فيهم) وذوى بصيرة ثاقبة لصناعة القرارات الأخلاقية، ومن هذه المحاولات محاولة كل من:"آدم سميث°"(Adam Smith)(١٧٢٣-١٧٩٠م) و"وليام كالفرت نايلز"(W. C. Kneals)(١٩٠٦-١٩٩٠م) و"رودريك فيرث•"(Roderick Firth)(١٩١٧-

---

(*) مدرس القيم وفلسفة الأخلاق- كلية الآداب- جامعة سوهاج.

١- الصباغ، رمضان: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٢٤٢.

°آدم سميث (١٧٢٣-١٧٩٠م): واحد من أهم الفلاسفة الاسكتلنديين الاجتماعيين والمنظرين لتأريخ الحضارة الغربية، اشتهر باعتباره أحد مؤسسي علم الاقتصاد السياسي، الذي بني فكرته علي أساس تحقيق المصلحة الذاتية، ومن أهم مؤلفاته" نظرية العواطف الأخلاقية" " The Theory Moral Sentiments " عام ١٧٥٩م، و بحث عن " ثروة الأمم " The Wealth of Nations "عام ١٧٧٦م.

See: Lacey, A. R: A Dictionary of Philosophy, ed3, London, 1996, Taylor& Francis E-Library, 2005, pp. 321-322.

•رودريك فيرث: فيلسوف أمريكي معاصر، ولد فى نيوجيرسي، حصل على درجة الليسانس فى جامعة "هارفارد" عام (١٩٣٨م)، ثم حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام (١٩٤٣م)، انضم "فيرث" إلى تدريس الفلسفة فى جامعة "هارفارد" منذ عام (١٩٥٣م) حتى وفاته، واشتهر "فيرث" بكتاباته الفلسفية فى مجال الابستمولوجيا والأخلاق، ومن أهم مؤلفاته :"معطيات الحس ونظرية الإدراك" Sense Data and Percept Theory (١٩٤٩م)، و"التجريبية الراديكالية والنسبية الإدراكية" Radical Empiricism and Perceptual Relativity (١٩٥٠م)،=

١٩٨٧م) و"ريتشارد براندت*" (Richard Brandt)(١٩١٠-١٩٩٧م) و"جون رولز" (John Rawls)(١٩٢١- ٢٠٠٢م) و"وليم فرانكينا*"(William Frankena)(١٩٠٨-١٩٩٤م)، واقترح هؤلاء الفلاسفة مجموعة من الخصائص التي يعتقدون أنها تحدّد بشكل ملائم المشرع الأخلاقي المؤهل Qualified Moral Legislator لصناعة القرارات الأخلاقية(٢).

وجدت نظرية المراقب المثالي عند عديد من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين على السواء، فنجدها مثلاً عند "آدم سميث" في كتابه "نظرية العواطف الأخلاقية" Theory of Moral Sentiments(عام ١٧٥٩م) تحت مسمى "الملاحظ المحايد" Impartial Spectator، وكذلك أيضًا نجدها عند كل من: "ديفيد هيوم"(David Hume)(١٧١١-١٧٧٦م) و"توماس كارسون"(Thomas L. Carson) و"تشارلز تاليافيرو" (Charles Taliaferro)(١٩٥٢م-) و"توماس هاريسون"(Thomas Harrison) و"ريتشارد هير•"(R. M. Hare)(١٩١٩-٢٠٠٢م) و"جورج إدوارد مور"(G. E. Moore)(١٨٧٣-١٩٥٨م)

= و"مذهب المطلق الأخلاقي والمراقب المثالي" (١٩٥٢م)، و"الرد على تعريف الأستاذ براندت إلى نظرية المراقب المثالي فى الأخلاق" (١٩٥٥م)، و"تشيزهولم وأخلاق الاعتقاد" (١٩٥٩م)، و"الترابط واليقين والمعرفة القبلية" (١٩٦٤م).

See: Shook, R. John. General Editor: The Dictionary of Modern American Philosophers, Vol.1, Thoemmes Continuum, Bristol, England, 2005, pp.788-791.

*ريتشارد بوكير براندت: فيلسوف أمريكي معاصر، من أنصار دعاة مذهب المنفعة التقليدية فى فلسفة الأخلاق، ويعد أحد أبرز الفلاسفة الأخلاقيين البارزين فى النصف الثاني من القرن العشرين، واشتهر بدفاعه عن مذهب النفعية المعتمد على القاعدة، الذى يعتمد فى إجابته على الأسئلة الأخلاقية على المنفعة أو الفائدة، التي تظهر من القبول الواسع الانتشار للمبادئ الأخلاقية فى المجتمع، ومن أهم مؤلفاته :"نظرية الخير والحق" عام ١٩٩٧م، و"الحقائق والقيم والمبادئ الأخلاقية" عام ١٩٩٦م، و"العقلانية والقواعد والمنفعة" عام ١٩٩٤م بالاشتراك مع "هوكير"، و"المبادئ الأخلاقية والنفعية والحقائق" عام ١٩٩٢م، و"مفهوم الاعتقاد العقلاني" عام ١٩٨٥م، و"فلسفة الأخلاق والتحليل اللغوي" عام ١٩٦٣م، والنظرية الأخلاقية" عام ١٩٥٩م، و"القيمة والالتزام: قراءات منظمة فى الأخلاق" عام ١٩٦١م.

See: Shook, R. Johan. ed: The Dictionary of modern American Philosophers, op.cit, pp.321-325.

*وليم فرانكينا: فيلسوف أخلاقي معاصر، ولد فى مانهاتن- مونتانا، وهو أحد أبرز الشخصيات الفلسفية التي ظهرت فى منتصف القرن العشرين، حصل على درجة الماجستير من جامعة "ميتشجان"، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة "هارفارد" عام ١٩٣٧م فى أطروحة بعنوان: "الحدسية الجديدة فى الأخلاق البريطانية"، كتب فى عديد من المجالات المتعلقة بفلسفة الأخلاق، ومنها: "ما وراء الأخلاق" و"تاريخ الأخلاق" و"نظرية الأخلاق المعيارية" و"علم النفس الأخلاقي" و"الأخلاق التطبيقية" و"فلسفة التربية"، وله عديد من المقالات والكتب فى فلسفة الأخلاق، ومنها:" الالتزام والدافع فى فلسفة الأخلاق الجديدة" عام ١٩٥٨م، "الأخلاق" عام ١٩٦٣م، و"قراءات تمهيدية فى الأخلاق" عام ١٩٧٤م، و"وجهات نظر حول الأخلاق" عام ١٩٧٦م...إلخ.

See: Darwall, Stephen. Loeb, E. Louis: William K. Frankena (1908-1994), Memorial Minutes from The Proceedings of The American Philosophical Association, Vol.86, No.5, (May., 1995), The American Philosophical Association, University of Delaware, Newark, 1995, pp.95-96.

See also: Honderich, Ted: The Oxford Companion to Philosophy, Oxford University Press, New York, 1995, p.298.

2- Buys, Ekdal. John: Hare's "Fanatic" As "Ideal Observer", PhD, Arizona State University, ProQuest, 1977, pp.31-32.

•ريتشارد هير: فيلسوف بريطاني معاصر، ولد في "بروك ويل" قرب "برستول" وعمل في جامعة أكسفورد ثم في الولايات المتحدة الأمريكية، اشتهر "هير" بكتاباته في مجال علم الأخلاق والقيمة، وعمل على تحليل العبارات =

و"توماس ناجل"*(Thomas Nagel)(١٩٣٧م-)، ولكن هؤلاء الفلاسفة لم يتناولوا نظرية المراقب المثالي بوصفها نظرية مستقلة من الحكم الأخلاقي كما فعل "رودريك فيرث".

تساؤلات البحث:

- ما الوظيفة التي يؤديها المراقب المثالي؟
- ما العلاقة بين المراقب المثالي عند "فيرث" والملاحظ المحايد عند "سميث" والملاك الرئيس أو الواصف المثالي عند "هير"؟
- هل للمراقب المثالي خصائص تميزه عن الآخرين؟
- ما الجديد الذى أضافه "فيرث" لفكرة المراقب المثالي؟
- هل هناك علاقة بين نظرية المراقب المثالي والأخلاق المطلقة والنسبية؟
- هل الخصائص التي صاغها "فيرث" للمراقب المثالي تمثل وحدة متكاملة أم هناك تناقض فيما بينها؟
- هل المراقب المثالي شخصية طبيعية أم خيالية؟

سيحاول –الباحث– الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها من خلال هذا البحث، أمَّا المنهج المستخدم فسيتم الاعتماد على المنهج النقدي المقارن، ويحتوى البحث على محورين أساسيين، هما: تحديد دور أو وظيفة المراقب المثالي، وخصائصه.

المحور الأول: وظيفة المراقب المثالي:

يحدد "رودريك فيرث" وظيفة المراقب المثالي في مقالة بعنوان: "مذهب الإطلاقية الأخلاقية والمراقب المثالي" **Ethical Absolutism and Ideal Observer** التي نُشرت عام ١٩٥٢م، حيث يرى أنها النظرية التي تدافع وتؤكد على أن صواب الفعل أو خطئه محدد من خلال رد فعل المراقب المثالي **Ideal**

= والجمل الأخلاقية، ومن اشهر كتبه " لغة الأخلاق " عام ١٩٥٢م، والذى جذب اهتمام الفلاسفة والباحثين في الدوائر الفلسفية، وأيضًا كتاب "الحرية والفكر" عام ١٩٦٣م، وكذلك "التفكير الأخلاقي" عام ١٩٨١م، و "أفلاطون" عام ١٩٨٢م، وكذلك "مقالات في الدين والأخلاق" عام ١٩٩٢م و "طريقة الأخلاق" عام ١٩٩٧م،، والعديد من المقالات.

See: Hare, William: R.M. Hare (1919-2002), Mount Saint Vincent University, Canada, pp.1-3.

See also: Lacey, A. R: A Dictionary of Philosophy, op.cit, p.132.

*توماس ناجل: فيلسوف سياسي وأخلاقي معاصر، ولد فى بلغراد بيوغسلافيا، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح مواطنًا أمريكيًا عام ١٩٤٤م، حصل على درجة الدكتوراه فى جامعة أكسفورد ١٩٦٣م تحت إشراف جون رولز، عمل أستاذًا مساعدًا للفلسفة فى جامعة كاليفورنيا فى بركيلي من ١٩٦٣-١٩٦٦م، ثم انتقل إلى جامعة "برينستون" حيث عمل أستاذًا للفلسفة من ١٩٦٦-١٩٨٠م، ثم انتقل إلى جامعة "نيويورك" حيث عمل رئيس كرسي الفلسفة أثناء الفترة من ١٩٨١-١٩٨٦م، عمل أستاذًا زائرًا فى عديد من الجامعات منها: اكسفورد وجنوب أفريقيا والمكسيك، وهو زميل للأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم وكذلك أيضًا زميل للأكاديمية البريطانية، له العديد من المؤلفات المهمة ومنها: "إمكانية الإيثار" عام ١٩٧٠م، و"النوعية والتحيز" عام ١٩٩١م، و"العقول الأخرى: مقالات نقدية" عام ١٩٩٥م، و"أسطورة الملكية: الضرائب والعدالة" بالاشتراك مع "ليام ميرفى" عام ٢٠٠٢.

See: Shook, R. John, General Editor: The Dictionary of Modern American Philosophers, Vol.3, op.cit, p.p.1790-1794.

See also: Honderich, Ted (ed): The Oxford Companion to Philosophy, 2nd, Oxford University Press Inc, New York, 2005, p.638.

Observer Reaction تجاه فعل ما، وهذا يعنى أن الفعل (ص) هو فعل جائز أخلاقيًا، إذا كان المراقب المثالي موافق أو يستحسن الفعل (ص)، وعلى النقيض من هذا، الفعل (س) هو فعل مذموم blameworthy أخلاقيًا، إذا كان المراقب المثالي لا يوافق أو لا يستحسن الفعل (س)[٣].

تعنى وجهة نظر "فيرث" هذه أن العبارات الأخلاقية Ethical Statements لها معنى العبارات المطابقة نفسها حول ردود أفعال المراقبين المثاليين، فالفعل يكون صائبًا إذا استجاب له المراقب المثالي في كذا وكذا تحت شروط كذا وكذا، وبمعنى آخر يحظى بموافقة المراقب المثالي، والفعل يكون خاطئًا إذا لم يستجب له المراقب المثالي أو إذا كان رده بالرفض[٤].

يتضح مما سبق أن للمراقب المثالي نوعين من الاستجابة، الأولى بالقبول والاستحسان وفى هذه الحالة يصبح الفعل فعلاً ذا قيمة أخلاقية، والثانية بالرفض وعدم الاستحسان وفى هذه الحالة يكون الفعل فعلاً مذمومًا أخلاقيًا ولا يجب تأديته.

ومن الجدير بالذكر هنا ملاحظة: أن صواب الفعل أو خطأه سيعتمد على رد فعل المراقبين المثاليين وليس حكمهم[٥].

يعنى هذا –من وجهة نظر الباحث– أن رد الفعل المراقب المثالي تجاه فعل قد يكون خاطئًا، ومن ثم يمكن إعادة النظر فيه.

يرى "توماس كارسون" أن "فيرث" يحلل معنى المفاهيم الأخلاقية من خلال فكرة المراقب المثالي؛ حيث يرى أن الأحكام الأخلاقية من النوع (ص)، حيث ص مسند أخلاقيًا كأن نقول: (ص) خير Good أو (ص) سيئ Bad أو (ص) صائب Right أو (ص) خاطئ Wrong، ولإصدار حكم أخلاقي مناسب حول الشيء؛ لكى نقول بأنه خير أو صائب ...إلخ، فيعني هذا أن كل المراقبين المثاليين يشعرون بالموافقة الأخلاقية تجاه ذلك الشيء، وإصدار حكم أخلاقي غير مناسب حول الشيء؛ فيعنى هذا أن كل المراقبين المثاليين يشعرون بالرفض الأخلاقي تجاه هذا الشيء[٦].

ويرى "رودريك فيرث" أنه ليست هناك حاجة ضرورية إلى مناقشة طبيعة ردود الأفعال الأخلاقية، وان نظرية المراقب المثالي يجب أن تجيب عن سؤالين فقط، هما:

١. ما الخصائص المميزة للمراقب المثالي؟.

٢. ما الظروف التي تجعل رد فعل المراقب المثالي يحدد ما الصائب وما الخاطئ في العبارات الأخلاقية[٧].

3- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.12, No.3, (Mar., 1952), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1952, pp.333-344.
See also: Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, Stance, Vol.3, April, 2010, p.55.

4- Chiovoloni, Margaret: Firth and Hill; Two Dispositional Ethical Theories, Degree of Master, University of North Carolina, Chapel Hill, ProQuest, 2006, p.2.

5- Ibid, p.2.

6- Carson, L. Thomas: The Status of Morality, Philosophical Studies Series In Philosophy, Vol.31, D. Reidel Publishing Company, Boston, 1984, p.49.

7- Firth, Roderick: op.cit, p.329.

المحور الثاني: خصائص المراقب المثالي:

يصف "فيرث" المراقب المثالي بمجموعة من الخصائص تميزه عن غيره من البشر، وهذه الخصائص هي:

١. المراقب المثالي كلىَّ العلم Omniscient.
٢. المراقب المثالي مدرك أو مطلع على كل شيء Omnipercipient.
٣. المراقب المثالي غير مبالى Disinterested.
٤. المراقب المثالي لا يتأثر بالعواطف والانفعالات Dispassionate.
٥. ثابت Consistent.
٦. وفيما عدا ذلك فهو إنسان طبيعي Normal[٨].

وسأتناول كل خاصية من هذه الخصائص بالتدقيق والتفصيل المناسبين، محاولاً توضيح موقف بعض الفلاسفة منها.

أولاً: خاصية كلىَّ العلم (عليم) Omniscient.

تتعلق هذه الخاصية فيما يرى "فيرث": بالحقائق التي تقع خارج نطاق الأخلاق Nonethical Facts[٩].

وتعد هذه الخاصية من أهم الخصائص التي يمتلكها المراقب المثالي عند "فيرث"، ويؤكد على ذلك قائلاً:« إن القصد من تعبير كلى العلم، هو أن نقول إن المراقب المثالي هو كلى العلم لضمان عدم وجود حدود Limits موضوعة على طبيعة المعلومات الواقعية التي تكون موجودة للتأثير على ردود الأفعال الأخلاقية، وذلك لتجنب حدوث خلط عند اتخاذ القرارات الأخلاقية Ethical Decisions، فكل الحقائق ذات الصلة يجب أن توضع في الاعتبار»[١٠].

ويضيف "فيرث" قائلاً:« إن المراقب المثالي يجب أن يكون مميزًا بالإشارة إلى معرفة الحقائق التى تقع خارج نطاق الأخلاق، وأقول "غير الأخلاقية"؛ لأن خصائص المراقب المثالي يجب أن تحدد من خلال شخص عقلاني Rationalist يقرر الأسئلة الأخلاقية، وهناك عديد من الأسئلة الأخلاقية-أي أسئلة حول المبادئ الأخلاقية النهائية Ultimate Ethical Principles- لا يمكن أن تقرر بالاستدلال من المقدمات الأخلاقية Ethical Premises»[١١].

أي أن المسألة عند "فيرث" لا تتوقف عند كون المراقب المثالي ملمًا بحقائق الحالة التي تكون ذات علاقة بالصواب والخطأ لفعل معين، ولكن أيضًا يجب أن يكون ملمًا بالمعلومات الأخرى التي تكون حول الوقائع الكلية لحقائق الحالة... أي أنه يجب أن يكون المراقب المثالي ذا معرفة تامة بوقائع الحالة، سواء أكانت الأحداث الماضية أو الأحداث المتعلقة بنتائج الفعل في المستقبل.

8- Chiovoloni, Margaret: Firth and Hill; Two Dispositional Ethical Theories, op.cit, p.3.
9- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, op.cit, p.333.
10- Ibid, p.334.
See also: Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, op.cit, p.56.
11- Firth, Roderick: op.cit, p.333.

هذا، وقد عارض "توماس كارسون" خاصية كلى العلم عند "فيرث"، ويقول:« لكى يكون المراقب المثالي إنسانًا؛ فلا يمكن أن يكون كلى العلم بشكل مطلق أو بشكل تام»[١٢].

وقدم صياغة جديدة، وهى:« أن الحقيقة (ص) تكون ذات علاقة بالحكم (س) إذا كانت: معرفة (ص) تؤثر في رد فعل المراقب المثالي حول (س)، أو (ص) عنصر من مجموعة الحقائق (ج)، وبأن معرفة (ج) تجعل هناك اختلافًا في ردود أفعال المراقبين المثاليين حول (س)»[١٣].

يميل –الباحث– هنا إلى أن نقد "كارسون" إلى "فيرث" غير مقبول؛ لأننا إذا افترضنا المعرفة الكلية وعدم التحيز الوجداني فلابد أن تكون المواقف متطابقة.

حاول "كارسون" التأكيد على أن نظرية المراقب المثالي عند "فيرث" تخفق في دعم نموذج قوى من مذهب الموضوعية **Objectivism**، حيث إن المراقبين المثاليين لا يمكن أن يتوافقوا جميعًا حول حالة واحدة من المواقف الأخلاقية **Moral Situations**، ويضرب مثالاً على ذلك بأنه يجوز للطبيب أن يكذب على مريضه، إذا اعتقد الطبيب أن المريض سيموت من الخوف؛ إذا علم بحقيقة مرضه المميت[١٤].

يعنى هذا، أن المراقبين المثاليين قد يختلفون في وجهات نظرهم أو مواقفهم حول بعض القضايا الأخلاقية، وهذا يعنى وجود تقصير في نظرية "فيرث" في دعم نموذج قوى من مذهب الموضوعية الأخلاقية، ولكى تتمكن نظرية "فيرث" من دعم نموذج قوى من مذهب الموضوعية، لابد أن يكون للمراقبين المثاليين نفس المواقف حول كل الأسئلة الأخلاقية المعقولة والممكنة الحدوث **Conceivable**، وهذا محال، كما يقول "كارسون"؛ لذلك فإن نظرية المراقب المثالي عند "فيرث" تدعم وجهة نظر متوسطة بين الموضوعية المتطرفة **Objectivism Extreme** والنسبية المتطرفة **Relativism Extreme**[١٥].

ويوجه "كارسون" نقدًا آخر إلى "فيرث" قائلاً:« إن الخصائص التي أعطاها "فيرث" إلى المراقبين المثاليين ليست كافية لتقرير مواقفه حول المواقف الأخلاقية، وقد تجاهل "فيرث" شيئًا مهمًا جدًا، وهو الخلفية الأخلاقية **Ethical Background** والتدريب الأخلاقي للمراقبين المثاليين، وهذا الشيء لم يتعامل معه "فيرث" مطلقًا، ويبدو من المعقول أن الخلفية الأخلاقية والتدريب الأخلاقي يؤثران في صناعة القرارات الأخلاقية للشخص»[١٦].

يبدو –للباحث– أن "كارسون" محق فيما ذهب إليه، بأن الإنسان يتأثر بالعادات والتقاليد التي ينشأ عليها أو الخلفية الثقافية والأخلاقية التي يتربى عليها، فكيف يمكن لنا أن نعطيه صفة المراقب المثالي عندما يمتلك الصفات التي أطلقها "فيرث"، ألن يكون متأثرًا بخلفياته الثقافية والأخلاقية التي تربى عليها؟.

12- Carson, L. Thomas: The Status of Morality, op.cit, p.58.
See also: Liikkanen, Jaakko. Karri: Ideal Observer Theory, Master's Thesis, University of Helsinki, ProQuest, August, 2013, p.64.
13- Ibid.
14- Liikkanen, Jaakko. Karri: op.cit, p.60.
15- Carson, L. Thomas: op.cit, p.58.
16- Liikkanen, Jaakko. Karri: op.cit, p.60.

ثانيًا: خاصية مدرك أو مطلع على كل شيء Omnipercipient.

بمعني: أن المراقب المثالي قادر بشكلٍ شديد الوضوح على تخيل الأحداث المحتملة Possible Events والحالات ذات الشأن أو ذات العلاقة، ويتضمن ذلك التجارب والحالات الشخصية للأشخاص الآخرين(١٧).

ترتبط هذه الخاصية بالقدرة على التخيل، وهذا ما يؤكد عليه "فيرث" حيث يعطى أهمية كبيرة لدور الخيال Imagination، فيقول:« إن معظم فلاسفة الأخلاق التطبيقين أكدوا أن عدم وجود الخيال هو المسئول عن عديدٍ من الجرائم...، وإن فشلنا في معاملة الأشخاص الغرباء مثل أخوتنا وأصدقائنا هي في جزء كبير منها نتيجة لعدم قدرتنا على تخيل أفراحهم وأحزانهم»(١٨).

ويتمتع المراقب المثالي عند "رودريك فيرث" بالقدرة على الخيال، ويشير قائلاً:« يبدو أن هذه الحقائق تشير إلى أن المراقب المثالي يجب أن يتسم بسلطات فوق العادة أو سلطات استثنائية من الخيال»(١٩).

يشير "فيرث" إلى أن خاصية كلى العلم كانت في بعض الأحيان تستخدم لتعيين خيال غير محدد التصور أو الإدراك Perception، وعلى الرغم من ذلك فإنه يؤكد أن استخدام خاصية كلى العلم، ليست كافية للمراقب المثالي، لكى يمتلك معرفة واقعية بطريقة تُجيز له أن يصدر أحكامًا واقعية حقيقية، فالمراقب المثالي يجب أن يكون في وقت واحد وبشكل آنى قادرًا على تخيل كل الحقائق الواقعية والنتائج المترتبة على جميع الأفعال المحتملة في الحالة المعطاة Given Situation(٢٠).

ويبدو أنه من المستحيل –كما يقول فيرث– بالنسبة لنا أن نتخيل تجربة كائن ما، يكون قادرًا على هذا النوع من التصور أو الإدراك الشامل أو الكلى Universal Perception للأشياء؛ ولكن في صناعة القرارات الأخلاقية نحاول أن نتصور عدة أفعال بديلة ونتائجها في تعاقب سريع، وكثيرًا ما نتمنى لو أن قراراتنا تستند إلى تصور آنى من البدائل؛ لذا لابد أن ننسب صفة الخيال الكلى Universal Imagination إلى المراقب المثالي، وهذا لضمان أن له ردود أفعال أخلاقية تكون مدفوعة ومحفزة بفاعلية وإنصاف(٢١).

يعارض "ريتشارد براندت" أن يكون المراقب المثالي كلى العلم وأن يكون مدركًا أو مطلعًا على كل شيء، حيث يقول:« المرء يجب أن يكون مترددًا من إلصاق خاصية كلى العلم للمراقب المثالي، وبدرجة أكبر يجب أن يكون معارضًا من إلصاق خاصية مدرك أو مطلع على كل شيء للمراقب المثالي، أي قدرة Capacity لتخيل كل الحقائق ويتضمن ذلك مجرى طرق الأفعال المحتملة ونتائجها»(٢٢).

يشير "براندت" إلى أن الإنسان لا يمكن أن يحقق صفة المراقب المثالي إلا إذا كان كلى العلم ومدركًا أو مطلعًا على كل شيء؛ لأن هذه المنزلة يجب أن تكون مفوضة فقط إلى الإله، أو كائن متعال فوق طاقة البشر

17- Carson, L. Thomas: The Status of Morality, op.cit, p.49.
18- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, op.cit, p.335.
19- Ibid, p.335.
20- Ibid, p.335.
21- Ibid, p.335.
22- Brandt, B. Richard: The Definition of an "Ideal Observer Theory" In Ethics, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.15, No.3, (Mar., 1955), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1955, p.409.

Superhuman؛ ولذلك فإن نظرية المراقب المثالي سوف يكون لها دورًا قليلاً جدًا في صناعة القرارات الأخلاقية(٢٣).

يتضح مما سبق أن "براندت" رفض المبالغة في اعطاء المراقب المثالي دورًا في صناعة القرارات الأخلاقية، ويأخذ المراقب المثالي بوصفه مجرد صفة أخلاقية لا يمكن أن تنطبق أو توجد في أي مخلوق من المخلوقات، إلا كيانات افتراضية متعالية فوق القدرات البشرية، وأن المراقبين المثاليين كائنات خيالية تخيلها بعض الفلاسفة لمواجهة بعض المشاكل الأخلاقية التي يتمنون حلها، مثل مشكلة عدم الحياد عند إصدار الأحكام الأخلاقية على بعض المشكلات الأخلاقية.

ولكن لماذا ينبغي علينا أن نرفض خاصية كلى العلم ومدرك ومطلع على كل شيء –كما يقول "براندت"–؟.

يقول "براندت":« إن هاتين الخاصيتين تخفيان (تبتلعان) جانبًا Eat Away من الخصائص الإنسانية للمراقب المثالي، مثل: مواجهة التجربة Experience والدهشة (المفاجأة) Surprise والإحباط (خيبة الأمل) Disappointment والقلق (التوتر) Anxiety، وهذه الخصائص تنبع من الجهل بالمستقبل وعدم التنبؤ به»(٢٤).

يقترح "براندت" –كما تشير "تانسي رانكين"–:« أن ما يحتاج إليه الإنسان هو أن يكون واعيًا بالحكم أو رد فعله تجاه الموقف الأخلاقي، وببساطة: يكون على وعى بالحقائق الواضحة التي تؤثر في رد فعله الأخلاقي في الموقف المعطى»(٢٥).

يدافع "تشارلز تاليافيرو" عن وجهة نظر "فيرث" المتعلقة بأن المراقب المثالي يتسم بصفة كلى العلم ومدرك أو مطلع على كل شيء، ويرى أن خاصية كلى العلم وخاصية مدرك أو مطلع على كل شيء ليستا مستحيلتين ميتافيزيقيا، ويكتب قائلاً:« ألا يستطيع الإله أن يخلق ببساطة إنسانًا يعرف أو يدرك حقيقة كل القضايا؟، يبدو هذا ممكنًا بشكل ميتافيزيقي؛ لذلك خلق الإله الإنسان كلى العلم، وعندما يكون هذا ممكنًا، فإن خاصية كلى العلم ومدرك ومطلع على كل شيء، لن تكونا موجودتين في المشاكل المتعلقة بنظرية المراقب المثالي»(٢٦).

تشير أيضًا "تانسي رانكين" إلى أنه إذا كان المراقب المثالي كائنًا غير كلى العلم وغير مدرك أو مطلع على كل شيء، فإنه لن يكون على يقين بأنه "يعي أو يدرك بوضوح" جميع الحقائق أو الوقائع التي تكون ذات صلة بالموقف الأخلاقي؛ لأن المعرفة محدودة، ولن يستطيع معرفة الحقائق أو الوقائع التي يمكن أن تؤثر في رد فعله الأخلاقي، ما لم يكن على علم بجميع الحقائق التي تقع خارج نطاق الأخلاق، ومن أجل هذا

23- Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, op.cit, p.59.
See also: Brandt, B. Richard: The Definition of an "Ideal Observer Theory" In Ethics, op.cit, 409.

24- Brandt, B. Richard: op.cit, p.409.

25- Rankin, Nancy: op.cit, p.58.

26- Taliaferro, Charles: Relativising The Ideal Observer Theory, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.49, No.1, (Sep., 1988), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1988, p.125.
See also: Rankin, Nancy: op.cit, p.57.

يحتاج المراقب المثالي إلى صفة كلى العلم ومدرك أو مطلع على كل شيء من أجل التأكيد على أن جميع الحقائق ذات الصلة تكون معتبرة، ودون معرفة كل الحقائق، فإن صانع القرار الأخلاقي لا يمكن أن يمتلك أي نوع من الثقة أو التأكيد(٢٧).

يجب التنويه هنا على أن الإلمام بالحقائق التي تقع خارج نطاق الأخلاق، لا تعنى عدم إلمام المراقب المثالي بالحقائق الأخلاقية، فالمراقب المثالي يجب أن يكون أولاً ملمًا بحقائق الحالة الأخلاقية المعطاة التي سيصدر عنها الحكم، وثانيًا يجب أن يكون ملمًا بجميع الحقائق التي تحيط بالحالة أو الموقف الأخلاقي المعطى؛ حتى يكون حكمه صحيحًا.

ثالثًا: خاصية عدم المبالاة بشيء Disinterested أو الحياد.

تعنى: أن ليس للمراقب المثالي أية مصالح أو اهتمامات أو رغبات خاصة تتضمن الإشارة الضرورية إلى أفراد معينين أو أي أشياء خاصة، فالاهتمامات والمصالح كلها عامة، فعلى سبيل المثال: المراقب المثالي لا يمكن أن يرغب في أن يكون "سميث" –مثلا– سعيدًا، أو أن يرغب في أن تكون الكاتدرائية محمية، وعلى أية حال، فالمراقب المثالي يرغب فقط في أن يكون كل البشر سعداء أو حماية كل البنايات الجميلة(٢٨).

هذا المعنى يذكرنا بالقاعدة الأولى من قواعد الأمر المطلق عند "إيمانويل كانط"، وهى قاعدة التعميم، وصيغتها:« لا ينبغي أن أفعل فعلاً إلا بطريقة أستطيع من خلالها أن أجعل مبدأ أو قاعدة فعلى أو سلوكي قانونًا عامًا كليًا للبشر جميعًا»(٢٩).

يرى "رودريك فيرث" أن من إحدى الخصائص الحاسمة للمراقب المثالي أن يكون على الحياد التام **Fully Impartial**، ويشير إلى أنه ينبغي علينا عدم الخلط بين صفة الحياد للمراقب المثالي مع التوحد أو الاتساق **Uniformity** من ردود أفعاله أخلاقية، فالمراقب المثالي يجب أن يكون حياديًا في القرارات المماثلة **Similar Decisions** في الحالات المتشابهة **Similar Cases**، وقد نميل إلى تعريف المراقب المثالي بوصفه مراقبًا حياديًا عندما تكون ردود أفعاله الأخلاقية تجاه فعلين هي دائمًا نفسها إذا كانا متماثلان ومتشابهان في كل النواحي الأخلاقية ذات الصلة(٣٠).

ويفرق "فيرث" بين الثبات **Consistent** والحياد بوصفهما خاصيتين للمراقب المثالي، حيث يقول:« عندما أقول إن المراقب المثالي ثابت، فإني أقول شيئًا حول اتساق أو توحد ردود أفعاله الأخلاقية، في حين أن قولي أن المراقب المثالي حيادي، فإني أقول شيئًا عن العوامل **Factors** التي تؤثر في ردود أفعاله»(٣١).

27- Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, op.cit, p.58.
28- Ibid, p.59.
29- Sullivan J. Roger: An Introduction to Kant's Ethics, Cambridge University Press, New York, 1994, p.29.
30- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, op.cit, p.336.
31- Ibid, p.336.

أما الثبات –من وجهة نظري– يتعلق بمسألة توحيد القرارات الأخلاقية للمراقب المثالي، فلا يجوز للمراقب المثالي أن يجمع بين الشيء ونقيضه في نفس الوقت أو في أي وقت آخر، فمثلاً لا يجوز للمراقب المثالي أن يصدر حكمًا عامًا بأن القتل العمد صائب وخاطئ في آن واحد، فالقتل العمد إما أن يكون صائبًا في كل زمان ومكان، أو يكون خاطئًا.

يرتبط الحياد–كما يقول فيرث– بشكل مباشر بالقدرة على الحكم الأخلاقي الصحيح، وأننا على الأرجح نستنتج أن المراقب المثالي يفتقر إلى الحيادية فقط، إذا كنا نعتقد أن قراراته قد تأثرت بالعوامل التي قد تفسدها أو تُحرّفها[٣٢].

يوضح "فيرث" أن الحياد يعنى أنه: ليس للمراقب المثالي أية مصالح من أي نوع سواء كانت تجاه أشخاص أو أشياء معينة، حيث يقول:« لا ينبغي أن يقال على المراقب المثالي أن لديه اهتمام خاص لفعل معين (ص)، لمجرد رغبة أو اهتمام في (ص)، نتيجة لاعتقاده أن (ص) يرتبط بطريقة معينة بفعل فريد أو مميز أو خاص»[٣٣].

على الرغم من أن "فيرث" قد نفى أن يكون للمراقب المثالي أي نوع من الرغبات أو الاهتمامات؛ فإنه لم ينفِ عنه أن تكون لديه رغبة في أن يكون محايدًا، ويؤكد على ذلك قائلاً:« يبدو أن البيان الأخير كافٍ لتمثيل مفهومنا للمراقب الأخلاقي المحايد، وكثيرًا ما نعجب بالمراقب الأخلاقي على وجه التحديد؛ لأننا نعتقد أنه لا توجد اهتمامات أو مصالح خاصة إلا رغبته في أن يكون محايدًا»[٣٤].

يتضح مما سبق تجريد الملاحظ المثالي من أية مصالح أو اهتمامات أو رغبات باستثناء رغبته في أن يكون محايدًا؛ أي لا توجد لدى المراقب المثالي أية دوافع للفعل.

يختلف "فيرث" مع كل من "ديفيد هيوم" و"توماس هوبز"(Thomas Hobbes)(١٥٨٨-١٦٧٩م) و"بيرنارد دي ماندفيل"(Bernard Dy Mandeville)(١٦٧٠-١٧٣٣م)، فقد أكدوا على أن المصلحة الذاتية Self-interest سمة أساسية كحافز لبعض الأفعال الأخلاقية، إلا إن "سميث" اختلف مع "هوبز" و"ماندفيل" في أن المصلحة الذاتية ترشد الناس للدخول إلى التعاون مع الآخرين؛ لأنك إذا كنت غير مؤتمن لقول الصدق أو عدم الوفاء بوعودك أو تجرح مشاعر الآخرين، فلن يتعامل معك الناس مطلقًا وستخسر في النهاية، ولكن في المقابل إذا كنت مؤتمنًا لقول الصدق وتفي بوعودك وتتفادى جرح مشاعر الآخرين، فإن الناس سيتعاونون معك، ولذلك سيصبح لديك السبب الأناني الأقوى للمحافظة على التزاماتك[٣٥].

تسمى هذه بنظرية اليد الخفية عند "آدم سميث"، فعندما يسعى الإنسان في تحقيق رغباته واهتماماته ومصالحة الخاصة، فإنه يحقق المصلحة العامة دون أن يشعر.

يبدو –للباحث– أن الإنسان لا يمكن أن يكون بأي شكل من الأشكال محايدًا بشكل تام؛ لأن هناك أمورًا تتحكم فيه سواء أكان على وعى بها أم لا، فالإنسان وليد بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها.

32- Ibid, p.336.
33- Ibid, p.338.
34- Ibid, p.339.
35- Harman, Gilbert: Moral A gent and Impartial Spectator, The Lindley Lecture, University of Kansas, April, 18, 1986, p.6.

رابعًا: خاصية عدم التأثر بالعواطف والانفعالات Dispassionate.

بمعنى آخر: ليس للمراقب المثالي أية عواطف أو انفعالات تجاه أشخاص أو موضوعات معينة، فعلى سبيل المثال المراقب المثالي لا يستطيع محبة شخص ما لأنه طفله أو والده(٣٦).

يقول "فيرت":« مفهوم الحياد لا يمكن تحليله بشكلٍ كامل في مصطلحات المصالح والاهتمامات Interests، فالمراقب المثالي، كما أتصوره عادة، هو القاضي الذى لا يتأثر في قراراته بمصالحه واهتماماته الخاصة، ولكن أيضًا لا يتأثر بعواطفه وانفعالاته»(٣٧).

يتضح مما سبق أن "فيرث" يؤكد على حقيقة مفادها:« أن غياب بعض المحفزات العاطفية أو الانفعالية Emotional Stimuli يمكن أن تؤخذ كشرطٍ إيجابي، وهذه الحقيقة يمكن أن تؤخذ في الحسبان، حيث إن المراقب المثالي لا يبالى أو لا يستجيب Unresponsive من خلال المحفزات العاطفية»(٣٨).

إن المشكلة الأساسية مع العواطف –كما يشير فيرث– أنها تعيق حيادية المراقب المثالي أو القاضي، ويؤكد على ذلك قائلاً:« القول بأن المراقب المثالي حيادي يعنى أنه غير قادر أو عاجز عن مواجهة هذا النوع من العواطف مثل: عواطف الغيرة Jealousy، وعاطفة حب الذات Self–love، والكراهية الشخصية Personal Hatred، وغيرها من العواطف الموجهة نحو أفراد معينين على هذا النحو»(٣٩).

ويرى "فيرث" أنه يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، من خلال القول أن المراقب المثالي عاجز تمامًا عن مواجهة أي نوع من العواطف أو الانفعالات بشكل مطلق، فهذا المفهوم للمراقب المثالي أقرب إلى تصور "كانط" للكائن العقلاني المجرد Purely Rational Being(٤٠).

هذا المعنى يتضح تمامًا من خلال القاعدة الأولى والثانية من قواعد تصور الواجب عند "كانط"، فالقاعدة الأولى تنص على أن كل الأفعال الإنسانية لا تكون خيرًا لأنها صدرت عن ميل مباشر، أو دفعت إليه رغبة في تحقيق مصلحة شخصية، بل تكون خيرًا؛ لأنها صدرت من أجل الواجب، فلا يكفى أن يكون الفعل الإنساني مطابقًا في نتائجه لمبدأ الواجب، بل يتحتم أن يجئ طبقًا للواجب، أي أن يصدر عن احترام الفاعل لمبدأ الواجب(٤١).

فالواجب عند "كانط" طبقًا لهذه القاعدة، لا يفتقر إلى أي باعث خارجي، أي لا يحتاج إلى حافز من عاطفة أو وجدان أو ميل من أي نوع كان، ولكنه استثنى من هذا عاطفة الاحترام للقانون الأخلاقي؛ لأنهـــا تنشأ عن العقل ولا تصدر عن الإحساس به، إنها عاطفة أو ميل من حيث هي شعور لدى الإنسان بأن

36- Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, op.cit, p.50.

37- Firth, Roderick: Ethical Absolutism an Ideal Observer, op.cit, p.340.

Quoted by: Chiovoloni, Margaret: Firth and Hill; Two Dispositional Ethical Theories, op.cit, p.5.

38- Firth, Roderick: op.cit, p.329.

39- Ibid, p.340.

See also: Chiovoloni, Margaret: op.cit, p.5.

40- Firth, Roderick: op.cit, p.340.

٤١- الطويل، توفيق: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م، ص ٤٢٠.
انظر أيضًا: كانط، ايمانويل: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمه وتعليق د. عبد الغفار مكاوي، راجعه د. عبد الرحمن بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ص ١٧-٢٦.

القانون الأخلاقي يصدر عن إرادته ورغبته وشعوره في الوقت نفسه بخضوعه للقانون الذى يفرضه على نفسه[٤٢].

أما القاعدة الثانية فتنص على أن الفعل الذى يتولد عن الإحساس بالواجب لا يستمد قيمته الخلقية **Moral Worth** من الغرض أو الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه من وراء ذلك الفعل، ولكن بالأحرى تتوقف قيمته الخلقية على القاعدة أو المسلمة **Maxim** التي يؤدى المرء بمقتضاها واجبه أيًا كـــان هذا الواجب، فقيمته الخلقية لا تتوقف على واقعية موضوع الفعل، بـــل تعتمد على مبدأ الإرادة الذى حـــدث الفعل بمقتضاه، دون أي اعتبار لملكة الرغبة **Faculty of Desire**[٤٣].

يتضح مما سبق، أن المقارنة بين "فيرث" و"كانط" لم تكن عادلة؛ لأن "فيرث" يتحدث عن فئة خاصة من البشر أو فئة افتراضية، ويصفهم بالحياد التام والتجرد من العواطف والانفعالات، وهذا إن جاز لنا التعبير شيء مقبول، ولكن أن أجرد جميع البشر من العواطف والانفعالات، فهذا شيء غير مقبول على الإطلاق.

ويعارض "جوناثان هاريسون"(**Jonathan Harrison**) (١٩٤٢-٢٠١٤م) هذه الخاصية عند "فيرث" قائلاً:« أنا لا أوافق على اقتراح الأستاذ "فيرث" بأن المراقب المثالي يجب أن يكون خاليًا من العواطف والانفعالات؛ لأنه يبدو لي أن الموجود أو الكائن الذى ليس لديه مشاعر أو انفعالات، لن يكون له أية ردود أفعال أخلاقية»[٤٤].

وهذا ما ذهبت إليه أيضًا "نانسي رانكين"(**Nancy Rankin**) في إحدى مقالاتها بعنوان: "مراجعة موضوعية لنظرية المراقب المثالي عند فيرث"، حيث ترى أن رد الفعل الأخلاقي المثالي يجب أن يؤدَّى من خلال العاطفة أو الانفعال؛ لأن ذلك يزود حافز الفعل ويجعل صناعة القرار الأخلاقي ضمن الفهم البشرى[٤٥].

كذلك أيضًا لم يجرد "آدم سميث" الملاحظ المحايد **Impartial Spectator** من التعاطف عندما قام بالتمييز بين مصطلح الإنسانية **Humanity** من ناحية، ومصطلح ضبط النفس **Self-command** من ناحية أخرى، فالإنسانية درجة ذات مستوى عالٍ من الشعور بالتعاطف مع الأخرين، وهى نتيجة جهد من خلال الملاحظ المحايد ليبرر تعاطف؛ كي يماثل تجارب الآخرين، بينما ضبط النفس يسعى نحو تقييد كبح جماح العواطف الطبيعية **Natural Emotions**، ويعمل على تقليل درجة الميل إلى الحالة الطبيعية العادية. والإنسانية وضبط النفس يشكلان معًا عند "سميث" كمال الطبيعة الإنسانية[٤٦].

يقول "ريتشارد هير" في إحدى مؤلفاته:« إذا أصبح الشخص (ص) غير محاب، وبالتالي غير متأثر بعواطفه وبليد الشعور، ولا يقيم وزنًا في انفعالاته لاهتمامات غيره، كما هو الحال بصدد انفعالاته الشخصية،

---

[٤٢]- الطويل، توفيق: المرجع السابق، ص ص ٢٤٠-٢٤١.

[43]- Kant, Immanuel: Groundwork for The Metaphysics of Moral, edited and Translated by Allen W. Wood and others, Yale University Press, London, 2002, p.15.

انظر أيضًا: كانط، ايمانويل: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص ٢٧.

[44]- Harrison, Jonathan: Some Comments on Professor Firth's Ideal Observer Theory, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.17, No.2, (Dec., 1956), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1956, p.260.

[45]- Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, op.cit, p.55.

[46]- Raphael, D. D: The Impartial Spectator; Adam Smith's Moral Philosophy, Oxford University Press Inc., New York, 2007, p.34.

عندئذ لن يكون بالموقف (المعطى) ما يحمله على قبول أو رفض أي مبدأ خلقي دون غيره، وهذا هو السبب الذى حدا بأولئك الفلاسفة من أمثال "آدم سميث" والأستاذ "كالفرت نيل" إلى الدعوة إلى ما أطلقوا عليه اسم "نظرية الملاحظ المحايد" في الأخلاق، وقد طالبوا فيها بأن يكون الملاحظ المحايد الذى رسموه في مخيلتهم ليس مجرد مشاهد غير متأثر بعواطفه، بل هو ذلك الملاحظ المتعاطف **Sympathetic** غير المتحيز»[٤٧].

كذلك يُعلي "فرانسيس هاتشيسون"(**Francis Hutcheson**)(١٦٩٤-١٧٤٦م) من قيمة عاطفة الإحسان **Benevolence**، وفى رأيه أن الناس يميلون أو مستعدون على نحو فطرى إلى محبة الآخرين، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، وأن هذا الميل إلى الإحسان يحفز الفاعل للفعل؛ لكى يجعل الناس سعداء من ناحية، ويرشد الملاحظين للتفضيل أو الموافقة على مثل هذه الأفعال ومعارضة الأفعال التي لها الميل المعاكس[٤٨].

وعاطفة الإحسان هي التي ترشد الفاعل إلى الفعل، وهى أيضًا التي ترشد الملاحظين إلى الموافقة على تلك الأفعال، ففعل الفاعل يكون صائبًا؛ لأن الملاحظين المحايدين يوافقون على تصرف الفاعل **Agent's Acting** وفق تلك الطريقة أو على النحو الذى تصرف عليه، والملاحظون لن يوافقوا على الفعل، لكون الفعل صائبًا أو صحيحًا، وإنما يستحسنون أو يوافقون عليه لأنه يحقق السعادة للناس، فالفعل يكون صائبًا عندما يحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس[٤٩].

خامسًا: خاصية الاتساق Consistent.

تعد خاصية الاتساق -كما يقول فيرث- واحدة من الخصائص المميزة للمراقب الجيد، وهذه الخاصية تشير إلى أن المراقب المثالي يجب أن يوصف -ضمن صفاته الأخرى- بوصفه الكائن أو الموجود الذى تكون ردود أفعاله الأخلاقية متسقة مع بعضها[٥٠].

يرى "فيرث" أن خاصية الاتساق ليست خاصية نهائية تتعلق بمحتوى معين، وإنما هي نتيجة لخاصية عدم التحيز وخاصية عدم التأثر بالعواطف والانفعالات، لذلك فهي صفة مشتقة أو قابلة للاشتقاق[٥١].

وبناءً على هذه الخاصية يجب أن تكون قرارات المراقب المثالي (القاضي) متسقة مع بعضها، ومجرد الاتساق المنطقي لا يكفى، ومع ذلك، هذا الاتساق يجب أن يكون قويًا، فعندما تعبر عبارتان عن قرارين أخلاقيين حول حالتين مختلفتين، فإنهما تشيران بالضرورة إلى الأفعال والأحداث المختلفة، وبالطبع فإن أية عبارتين متسقتين ذاتيًا تكونان متسقتين منطقيًا مع بعضهما إذا أشارتا إلى الأفعال والأحداث المختلفة[٥٢].

الاتساق -كما يقول فيرث- الذى يكون في العقل، هو أقوى من الاتساق المنطقي[٥٣].

---

[٤٧]- هير، م. ريتشارد: الحرية والفكر، ترجمة: يوسف ميخائيل أسعد، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ١٣١.

[48]- Harman, Gilbert: Moral A gent and Impartial Spectator, op.cit, p.5.

[49]- Ibid.

[50]- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, op.cit, p.341.

[51]- Ibid, p.344.

[52]- Liikkanen, Jaakko. Karri: Ideal Observer Theory, op.cit, p.18.

[53]- Firth, Roderick: op.cit, p.342.

كما يشير "فيرث" إلى أن اتساق قرارين أخلاقيين يجب أن يعتمدا على علاقة هذه القرارات ببعض المبادئ الأخلاقية العامة التي تكون متصورة كمجموعات ممكنة من العبارات الأخلاقية(٥٤).

ويوضح "فيرث" قائلاً:« يعتبر القاضي الأخلاقي غير متسق مع نفسه؛ إذا اتخذ قرارًا لصالح الفعل (ص)، وليس الفعل (ص١)، بينما في حالة أخرى اتخذ قرارًا لصالح الفعل (س) بدلاً من الفعل (س١)، فالفعل (ص) يمكن أن يكون صحيحًا أو صائبًا فقط إذا كان المبدأ الأخلاقي (ع) صحيحًا أو صائبًا، والفعل (س) يمكن أن يكون فعلاً صحيحًا أو صائبًا فقط إذا كان المبدأ الأخلاقي (ع) خاطئًا»(٥٥).

في الحالة الأولى يكون الفعل صحيحًا إذا كان متسقًا مع مبدأ أخلاقي عام، بينما في الحالة الثانية على الرغم من أن الفعل صحيح؛ فإنه غير متسق مع المبدأ الأخلاقي العام.

ينتهى "رودريك فيرث" من هذه الخاصية قائلاً:« لتحديد خاصية الاتساق بالنسبة للمراقب المثالي، نحن يمكن أن نعرفه في جزء منه بوصفه الكائن أو الموجود الذى ستكون ردود أفعاله الأخلاقية نحو فعل معين دائمًا متماثلة ومتشابهة Similar تمامًا»(٥٦).

ويعنى تحديد الاتساق –ببساطة– أن ردود أفعال المراقب المثالي الأخلاقية هي دائمًا نفسها، وهذا يتطلب من المراقب المثالي أن يكون قادرًا على التفكير بشكل نقدى تمامًا في كل فعل وأن يكون قادرًا على التمييز بين الأفعال، كي يكون قادرًا على معرفة أقل الاختلافات بين الأفعال(٥٧).

سادسًا: خاصية أنه إنسان طبيعي Normal.

يعتقد "رودريك فيرث" أن الخصائص سابقة الذكر للمراقب المثالي المذكورة أعلاه، ليست كافية، ومهما كان مثاليًا، فهو في النهاية شخص طبيعي Normal Person، لذا فإن المراقب المثالي عند "فيرث" شخص وليس تصورًا ميتا–إثيكا Meta–ethical مجردًا(٥٨).

يدعى "فيرث" أن القول بأن خصائص المراقب المثالي لا يمكن أن تتعدى أو تتخطى خارج حدود الحياة الطبيعية، ولكن تعريف حدود الحياة الطبيعية ليس ممكنًا، ويقول أن هناك أسبابًا عديدة لذلك، ويمكن أن نطلق عليها اسمًا واحدًا فقط: الحالة الطبيعية هي مفهوم الجشطلت Gestalt(٥٩).

وقد استخدم "فيرث" مفهوم الجشطلت بمعنى: أن بعض السمات أو الصفات التي تكون متعمقة في التجريد (وتسمى صفات غير طبيعية Abnormal)، يمكن أن تسهم في الشخصية الكلية التي تقع ضمن حدود الحالة الطبيعية(٦٠).

54- Liikkanen, Jaakko. Karri: op.cit, p.18.
55- Firth, Roderick: op.cit, p.342.
56- Ibid, p.343.
57- Liikkanen, Jaakko. Karri: Ideal Observer Theory, op.cit, p.19.
58- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, op.cit, p.344.
See also: Liikkanen, Jaakko. Karri: op.cit, p.19.
59- Firth, Roderick: op.cit, p.345.
60- Ibid.

تشير "تانسي رانكين" إلى أن:« المراقب المثالي عند "فيرث" شخص طبيعي، وهو يؤكد –ببساطة– أن هذا الشخص لا يمكن أن يعانى من ورم في المخ، أو أي اضطراب نفسى قد يحيده أو يحرفه عن حكمه على الموضوعات الأخلاقية»(٦١).

هذا، وقد وضع "فيرث" بعض الشروط للمراقبين المثاليين لصناعة أحكام أخلاقية صحيحة، مثل: التمارين الجسدية الخفيفة، كالمشي، ووجود أشخاص آخرين في محاولة اتخاذ قرارات مماثلة، وبعض المحفزات الجمالية، وعلى النقيض من هذه الصفات؛ الإعياء العقلي وتشتيت دوافعه الحسية وقلة الخبرة هي صفات غير محبذة تمامًا(٦٢).

ينفى "رودريك فيرث" مسألة تجريد المراقب المثالي من أية خصائص أو صفات محددة للكائنات الإنسانية، حيث يقول:« يبدو من المشكوك فيه أنه يمكن القول إن المراقب المثالي يفتقر إلى أي من الخصائص والملكات المقررة للكائنات الإنسانية»(٦٣).

على الرغم من إصرار "فيرث" على أن المراقب المثالي هو شخص طبيعي مخالفًا –من وجهة نظري– معظم الخصائص سابقة الذكر، فإننا نجد أن "آدم سميث" جعل الملاحظ المحايد شخصية خيالية من صنع العقل البشرى، حيث يقول:« الملاحظ المحايد ليس هو المقياس أو المعيار الفعلي الواقعي الذى قد يبدي الموافقة أو الرفض لسلوكي أو لفعلي، فهو خلق Creation من خيالي My Imagination، وهو في الواقع نفسى»(٦٤).

يتضح موقف "سميث" هذا من خلال استخدام الخيال، فالأفراد الذين يرغبون في الحكم على أفعالهم وتصرفاتهم الخاصة لا يخلقون فقط مشاعر مماثلة، ولكن يخلقون شخصًا خياليًا كليًا أو تامًا –غير منقوص– يقوم بدور الملاحظ المحايد والقاضي أو الحكم، وعندما أسعى لفحص سلوكي الخاص، وإصدار الحكم عليه إما بالموافقة أو الرفض، ففي كل هذه الحالات أقسم نفسى–إذا جاز التعبير– إلى شخصين؛ الشخص الأول هو الملاحظ المحايد الذى يقوم بفحص سلوكي وتصرفي وإصدار الحكم عليه، والآخر هو الفاعل الأصلي أو الشخص المحكوم عليه(٦٥).

بعض الصفات الأخرى التي خلعها الفلاسفة على المراقب المثالي:

وجهة نظر "سميث" –سابقة الذكر– هي أن الفاعل يمكن أن يحكم على تصرفاته وأفعاله الخاصة فقط إذا تخيل نفسه في مكان المراقب، وعلى الرغم من أن المراقب المثالي عند "سميث" شخصية خيالية؛ فإنه يصفه ببعض الصفات، مثل:

١. حبيس الصدر Inmate of the Breast (أي داخل الإنسان لا يمكن أن يخرج منه إلى عالم الوجود الفعلي).
٢. مجرد ممثل للبشرية.

61- Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory, op.cit, p.56.
62- Firth, Roderick: op.cit, p.345.
63- Ibid, p.344.
64- **Quoted by:** Raphael, D. D: The Impartial Spectator; Adam Smith's Moral Philosophy, op.cit, p.35.
65- Weinstein, Russell. Jack: Adam Smith (1723-1790), Internet Encyclopedia of Philosophy, University of North Dakota, U.S.A. www.iep.utm.edu/smith/15-9-2015.

٣. بديل للإله **Substitute of the Deity**[٦٦].

كذلك أيضًا يعتقد "ريتشارد براندت" أن الحكم الأخلاقي يكون صحيحًا أو صائبًا إذا كان مقبولاً من قبل شخص يمتلك الصفات الآتية:

١. غير متحيز أو غير محاب **Impartial**.
٢. لديه معرفة تامة **Fully Informed**.
٣. في حالة عقلية طبيعية.
٤. الموقف الذى يعبر عن حكمه، لابد أن يكون متوافقًا مع نظام من المبادئ، وكلاهما ثابت وعام[٦٧].

وكذلك أيضًا يطلق "ريتشارد هير" على المراقب المثالي اسم الملاك الرئيس **Archangel** (أي الملاك الذى له المرتبة العليا بين الملائكة) أو يسميه أيضًا الواصف المثالي **Ideal Prescriber**، ويصفه بمجموعة من الخصائص، ومنها:

١. متعال فوق قدرات البشر الفكرية (يتمتع بالتفكير النقدي وليس التفكير الحدسي).
٢. يمتلك معرفة متعالية تفوق القدرات البشرية.
٣. لا يعتريه النقص الإنساني.
٤. عدم التحيز سواء إلى نفسه أو الآخرين[٦٨].

يبدو أن هذه الصفات تليق بأن يكون المراقب المثالي في مرتبة أعلى من المرتبة البشرية، بل إنها في بعض جوانبها تليق بأن يكون المراقب المثالي في مرتبة الإله، إلا إننا نجد "رودريك فيرث" ينفى هذا عن المراقب المثالي، فيقول:« من المتوقع أن أي وصفٍ مناسب للمراقبِ المثالي سيكون وصفًا جزئيًا من صفات الإله، إذن فالإله قد يكون متصورًا لكى يكون قاضيًا أخلاقيًا معصومًا **Infallible Moral Judge**، ولكن المراقب المثالي لا يلزم بالضرورة أن يمتلك مثل هذه الخصائص كالقوة لخلق الأجسام الطبيعية أو حتى القوة للثواب والعقاب **Reward and Punish**؛ فهذه الخصائص ذات علاقة بالقدرة الإلهية وليست لها علاقة بالقاضي الأخلاقي»[٦٩].

نتائج البحث:

تأسيسًا على ما سبق يمكن القول:

أولاً: تتعلق نظرية المراقب المثالي بمسألة الحكم الأخلاقي أو القرارات الأخلاقية، فالمراقب المثالي هو الذى يحكم على الأفعال بأنها صائبة أو خاطئة، فلم يعد المعيار في الأحكام الأخلاقية متعلقًا بالذات كما في النظريات الذاتية، أو متعلقًا بعالم المثل أو التصورات الفطرية العقلية كما في النظريات المثالية، أو متعلقًا بالإله أو الوحى كما في النظريات اللاهوتية، بل أصبح المعيار في الحكم الأخلاقي متعلقًا بالمراقب المثالي فحسب، فما يقرره ويستحسنه يكون خيرًا وما يستبعده ويبغضه يكون شرًا.

66- Raphael, D. D: op.cit, p.p.38-42.
67- Carson, L. Thomas: The Status of Morality, op.cit, p.50.
68- Hare, M. R: Moral Thinking; Its level, Method, and Point, Clarendon Press, Oxford, 1981, pp.44-45.
Quoted by: Liikkanen, Jaakko. Karri: Ideal Observer Theory, op.cit, p.54.
69- Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer, op.cit, p.333.

ثانيًا: تعد نظرية المراقب المثالي على تعدد أو تنوع مسمياتها منهجًا لصناعة القرارات الأخلاقية الصحيحة، فالمراقب المثالي ليس شيئًا يمكن أن نلاحظه أو ندركه في حياتنا الواقعية، ولكن يمكن أن ندركه ونلاحظه فقط في أفكارنا.

ثالثًا: نظرية المراقب المثالي ليست نظرية تتعلق بموضوع المعرفة الأخلاقية، التي تخبرنا بما ينبغي علينا أن نفعل في كل المواقف والحالات، ولكنها بالأحرى هي طريقة تساعدنا في تحديد أو صناعة الاختيارات الصحيحة فقط.

رابعًا: يخفق "رودريك فيرث" في تقديم رؤية موضوعية للأحكام الأخلاقية، فالمراقبون المثاليون قد يختلفون في وجهات نظرهم أو في مواقفهم حول القضايا الأخلاقية، والموضوعية تدعى أن يكون لهم المواقف نفسها حول كل الأسئلة الأخلاقية محتملة الحدوث **Conceivable**، وهذا يستحيل عمليًا ونظريًا[٧٠].

خامسًا: ترى الدراسة أن "فيرث" لم يضع حدًا فاصلاً بين: هل هناك مراقبًا مثاليًا واحدًا أم أن هناك عددًا من المراقبين المثاليين؛ لأن مسألة التحديد هذه من شأنها أن تجعلنا نحدد موقفه من المطلق والنسبي، فإذا كان هناك مراقب مثالي واحد، فهذا يعنى أن الأحكام الأخلاقية التي يصدرها ستكون أحكامًا عامةً، لها صفة التجريد والكلية، وهى أحكامًا ثابتة تتخطى حدود المكان والزمان، أما إذا كان هناك عدد من المراقبين المثاليين، فبدون أدنى شك سيكون هناك اختلاف في أحكامهم على القضايا الأخلاقية، وبالتالي ستكون هذه الأحكام نسبية ومتغيرة من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان، وهذا يؤدى إلى النظرية الذاتية.

سادسًا: ترى الدراسة أن ردَّ الفعل الأخلاقي المثالي يجب أن يؤدى من خلال العواطف أو الانفعالات؛ لأنها تحفز الفاعل للفعل، بالإضافة إلى أنها تضع صناعة القرارات الأخلاقية وأحكامها ضمن الفهم الإنساني فقط.

سابعًا: ترى الدراسة أن هناك تناقضًا في آراء "فيرث" حول خصائص المراقب المثالي، فقد أعطاه مثلاً: صفات كلى العلم والمدرك والمطلع على كل شيء ولا يتأثر بالعواطف والانفعالات، وهذه الصفات تؤهل المراقب المثالي إلى مرتبة الإله أو نصف الإله، ومن الناحية الأخرى أعطاه صفة كونه إنسان طبيعي، ولم يفهم "فيرث" من هذه الصفة أن الشخص الطبيعي هو إنسان يحس وينفعل ويشعر بما يشعر به الآخرون، ولهذا فهو قادر على الردود العاطفية.

ثامنًا: ترى الدراسة إلى أن هناك اختلافًا بين الفلاسفة حول طبيعة شخصية المراقب المثالي، فمثلاً: يرى "رودريك فيرث" أنه شخصية طبيعية، بينما يعتقد "آدم سميث" أنه شخصية خيالية ليس لها أي وجود إلا في المخيلة الإنسانية، أمَّا "ريتشارد براندت" فقد اعتبره شخصية متعالية فوق الطبيعة البشرية، ووضعة في مرتبة أعلى من مرتبة الملائكة.

تاسعًا: ترى الدراسة أنه لا يمكن أن يوجد ذلك الكائن الذى يكون على الحياد التام ولا يتأثر بالعواطف والانفعالات أو المصالح والاهتمامات؛ لأن الإنسان وليد بيئته الثقافية يتأثر بها ويؤثر فيها، كما أن مسألة صناعة القرارات والأحكام الأخلاقية لا يمكن أن تكون بمعزل عن الاعتبارات: الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

عاشرًا: على الرغم من كثرة الانتقادات التي وجهت إلى "فيرث"، والتي يمكن أن توجه إليه، فإنه يظلُّ واحدًا من أفضل الفلاسفة الذين ناقشوا فكرة المراقب المثالي من ناحية:١. تحديد الدور أو الوظيفة التي يقوم بها. ٢. الخصائص التي يمتلكها.

70- Carson, L. Thomas: The Status of Morality, op.cit, p.51.

قائمة المصادر والمراجع

1. **Brandt, B. Richard: The Definition of an "Ideal Observer Theory" In Ethics,** Philosophy and Phenomenological Research, Vol.15, No.3, (Mar, 1955), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1955.
2. **Buys, Ekdal. John: Hare's "Fanatic" As "Ideal Observer",** PhD, Arizona State University, ProQuest, 1977.
3. **Carson, L. Thomas: The Status of Morality, Philosophical Studies Series In Philosophy,** Vol.31, D. Reidel Publishing Company, Boston, 1984.
4. **Chiovoloni, Margaret: Firth and Hill; Two Dispositional Ethical Theories,** Degree of Master, University of North Carolina, Chapel Hill, ProQuest, 2006.
5. **Darwall, Stephen. Loeb, E. Louis: William K. Frankena (1908-1994),** Memorial Minutes from The Proceedings of The American Philosophical Association, Vol.86, No.5, (May, 1995), The American Philosophical Association, University of Delaware, Newark, 1995.
6. **Firth, Roderick: Ethical Absolutism and Ideal Observer,** Philosophy and Phenomenological Research, Vol.12, No.3, (Mar, 1952), International Phenomenological Society, International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1952.
7. **Hare, M. R: Moral Thinking; Its level, Method, and Point,** Clarendon Press, Oxford, 1981.
8. **Harman, Gilbert: Moral A gent and Impartial Spectator,** The Lindley Lecture, University of Kansas, April, 18, 1986.
9. **Harrison, Jonathan: Some Comments on Professor Firth's Ideal Observer Theory,** Philosophy and Phenomenological Research, Vol.17, No.2, (Dec., 1956), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1956.
10. **Honderich, Ted (ed): The Oxford Companion to Philosophy,** 2nd Oxford University Press Inc, New York, 2005.

11. **Kant, Immanuel: Groundwork for The Metaphysics of Moral,** edited and Translated by Allen W. Wood and others, Yale University Press, London, 2002.
12. **Liikkanen, Jaakko. Karri: Ideal Observer Theory,** Master's Thesis, University of Helsinki, ProQuest, August, 2013.
13. **Rankin, Nancy: A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory,** Stance, Vol.3, April, 2010.
14. **Raphael, D. D: The Impartial Spectator; Adam Smith's Moral Philosophy,** Oxford University Press Inc., New York, 2007.
15. **Shook, R. John. General Editor: The Dictionary of Modern American Philosophers,** Vol.1, and Vol.3, Thoemmes Continuum, Bristol, England, 2005.
16. **Taliaferro, Charles: Relativising The Ideal Observer Theory,** Philosophy and Phenomenological Research, Vol.49, No.1, (Sep., 1988), International Phenomenological Society, Brown University, Rhode Island, 1988.
17. **Weinstein, Russell. Jack: Adam Smith (1723-1790),** Internet Encyclopedia of Philosophy, University of North Dakota, U.S.A. In: www.iep.utm.edu/smith/15-9-2015.

مراجع باللغة العربية:

١. **الصباغ، رمضان: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق،** دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
٢. **الطويل، توفيق: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها،** دار النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م.
٣. **هير، م. ريتشارد: الحرية والفكر،** ترجمة: يوسف ميخائيل أسعد، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
٤. **كانط، إيمانويل: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق،** ترجمه وتعليق د. عبد الغفار مكاوي، راجعه د. عبد الرحمن بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٣م.